آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الخامسة ـ العددان العشرون والحادي والعشرون ـ ذو الحجة ١٤١٨ هـ ـ ابريل (نيسان) ١٩٩٨م

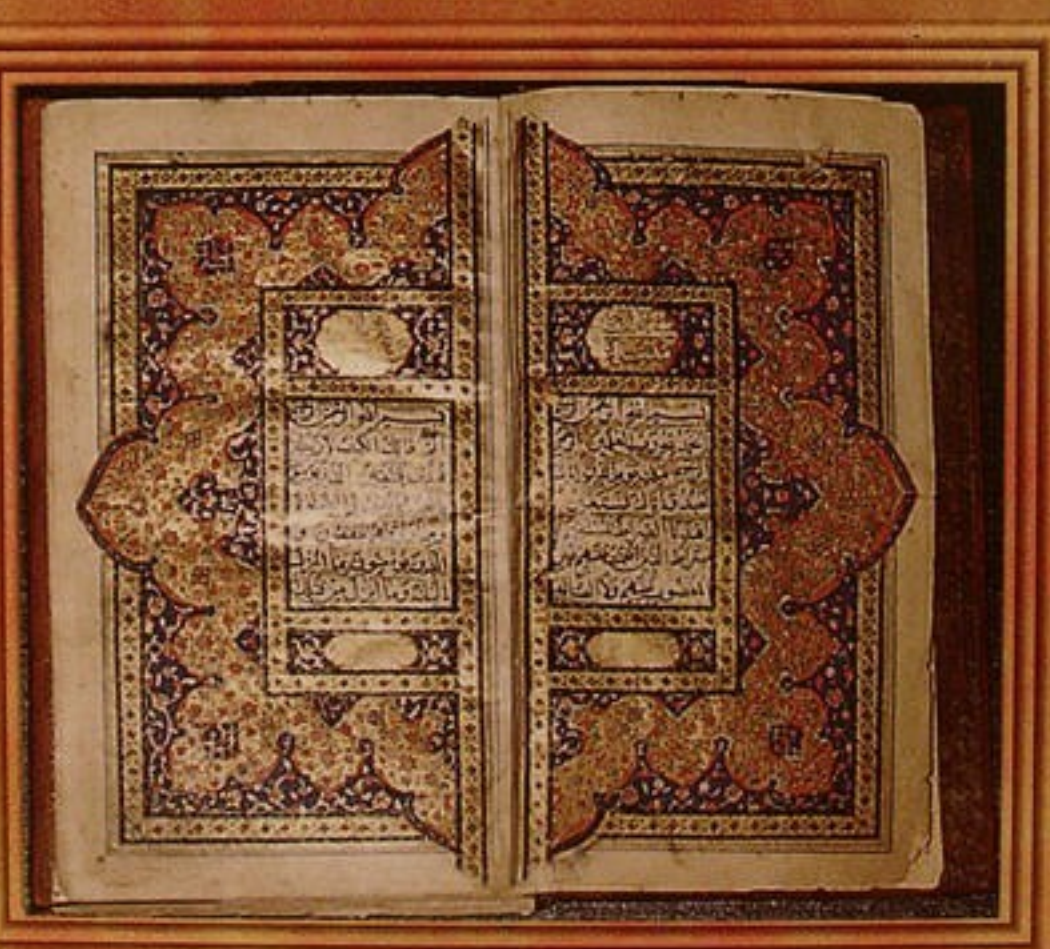

كتاب الإحاطة بأخبار غرناطة

للسان الدين بن الخطيب الأندلسي (١٧١٣ - ٧٧٦ هـ)

منهجية التأليف والتصنيف : دراسة تحليلية

إعداد
رابح عبد الله المغراوي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الأول
وجدة ـ المغرب

مقدمة

كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، أكبر وأعظم أثر أبدعه قلم العلامة الأديب، والمؤرخ الأريب، لسان الدين ابن الخطيب، حتى إنه اشتهر به أكثر من غيره من مصنفاته، على كثرتها وتنوعها، وذلك لتعدد أسفاره، وغزارة مادته، ونفاسته في بابه، وكذلك لذيوعه وانتشاره في الآفاق شرقًا وغربًا، واعتزاز ابن الخطيب الكبير به دأبًا.

لهذه الاعتبارات وغيرها سأتبع طريقًا متفردًا في وصف هذا المؤلف وعرض منهجه، أهم خصائصه التفصيل والتحليل، بغية الوقوف على المكونات المنهجية، والصيغ التوليفية التي ينطوي عليها الكتاب خاصة، وكذلك الوقوف على وجهٍ من وجوه التأليف، وباب من أبواب التصنيف التي برع فيها أسلافنا عامةً.

قبل ذلك، لا بدّ من الإشارة إلى أن «كتاب الإحاطة» هو المؤلف الوحيد الذي ظلّ ابن الخطيب دائم الصلة به، ينقحه، ويضيف إليه، طوال حياته، فقد بدأه قبل محنته الأولى ونزوحه إلى المغرب سنة ٧٦١هـ، وأتمه للمرة الأولى، سنة ٧٦٩هـ، وبعث بنسخة منه إلى القاهرة، في هذه السنة نفسها. ثم واصل اعتناءه به، إلى ما بعد سنة ٧٧٢هـ. دلّ على ذلك إشارات متعددة، وردت في تراجم بعض الأعلام المعاصرين له(١).

كما يجدر التنبيه على أن كتاب الإحاطة الذي بين أيدينا - في تقديرنا - ليس هو كتاب الإحاطة كما وضعه ابن الخطيب، وإنما هو عبارة عن مزيج من المختصرات والأصول، غلبت عليه المختصرات أكثر من الأصول، على الرغم من محاولة الأستاذ محمد عبدالله عنان رحمه الله التأكيد على أن ما وصل إلينا منه قريب الشبه بأصله، وسنناقش هذه المسألة بعد عرضنا لمنهج ابن الخطيب في هذا المؤلف كما وصل إلينا، وكما دلت عليه مقدمته، التي استهل بها الكتاب، حيث أوضح من خلالها، الخطة التي اتبعها في ترتيبه وتصنيفه.

البحث الأول
«الإحاطة» ومنهج الترتيب من خلال التقديم

قسّم ابن الخطيب كتاب الإحاطة إلى قسمين متباينين، صدرهما بمقدمة صغيرة احتوت على الأغراض الآتية:

١ - حمدلة وصلاة بليغة مسجوعة توحي بغرض التاريخ، وغرض موضوع الكتاب بصفة عامة جريا على العادة التقليدية التي تأصلت عبر القرون، استجابةً لآداب الإسلام وقواعده في كل عمل ذي بال، حتى لا يوصف بالبتر والقطع.

٢ - الإشارة إلى مفهوم التاريخ وفائدته انطلاقًا من فهمه وتصوره، وهو فهمٌ لا يخرج عن الفهم التقليدي المشترك الذي تواضع عليه المسلمون، اللهم إلا بعض الإضافات الطفيفة فيما يتعلق بفوائده.

٣- عرض مختصر لمناهج التصنيف المختلفة التي اعتمدت في التواريخ عمومًا، وتواريخ المدن والأقطار والبلدان خاصة، لما لذلك من علاقة منهجية بموضوعه الذي سيطرقه، يقول ابن الخطيب، ملخصًا رأيه في المحاولات التي تقدمته: «اختلفت في هذا الباب أغراضهم [المصنفون في التاريخ]، فمنهم من اعتنى بإثبات حوادث الزمان، ومنهم من اعتنى برجاله بعد اختيار الأعيان، عجزًا عن الإحاطة بهذا الشأن عمومًا في أكثر الأقطار، وخصوصًا في بعض البلدان» (٢).

٤ - الإشارة إلى الباعث الذي استحثه على التصنيف في هذا الموضوع، فيقول مفصحًا: «فتذكرت جملة من موضوعات من أفرد لوطنه تاريخًا هزّ إليها - علم الله - وفاء وكرم..» (٣)، ويذكر مجموعة كبيرة من التصانيف التي تخصصت في تاريخ البلدان شرقًا وغربًا(٤)، ثم يعرب بعد ذلك عن حقيقة رغبته الدافعة قائلاً: «فداخلتني عصبية لا تقدح في دين ولا

منصب، وحمية لا يذم في مثلها متعصب.. فلست ببدع ممن فتن بحب وطن، ولا بأول من شاقه منزل فألقى بالعطن، فحب الوطن معجونٌ بطينة ساكنه، وطرفه مُغرى بإتمام محاسنه»(٥).

٥ – الإشارة إلى محاولة سبقته في كتابة تاريخ غرناطة، لكنه يصفها بالقصور، وعدم استيفاء المقصود، يقول: «وقد كان أبو القاسم الغافقي(٦) من أهل غرناطة، قام من هذا الغرض بفرض، وأتى من كله ببعض، فلم يشف من غلة، ولا سدّ خلة، ولا كثر قلة، فقمت بهذا الوظيف، وانتدبت فيه للتآليف»(٧).

٦ – الاعتذار للقارىء عن الإتيان بعملٍ كامل وشامل، يروي العقول ويشفي الصدور، لكثرة العوائق الشاغلة والموانع الحائلة، غير أن العزم قوي، والنية صحيحة، وجهد المقل مبذول، يقول: «ورجوت على نزارة حظ الصحة، وازدحام الشواغل الملحة، أن أضطلع من هذا القصد بالعبء الذي طالما طأطأت له الأكتاد.. وإذا صحب العمل صدق النية، أشرقت من التوفيق كل ثنية.. والمجتهد في هذا الغرض مقصر، والمطيل مختصر..»(٨).

٧ – الإشارة في نهاية المطاف إلى خطة الكتاب التي اعتمدها في عرض مادته مفصلة غاية التفصيل، فلتراجع في موضعها: لأن النصّ الذي بينها طويل(٩).

أما القسمين الكبيرين اللذين قسّم كتابه بموجبهما، فهما كما يقول في ختام المقدمة: «وجعلت هذا الكتاب قسمين، ومشتملاً على فنين، القسم الأول: في حُلى المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن. القسم الثاني: في حلى الزائر والقاطن والمتحرك والساكن»(١٠).

القسم الأول : خصصه للحديث عن مدينة غرناطة من الناحية التاريخية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والمعمارية، وذلك في حوالي أربعين صفحة. وقد عبّر ابن الخطيب عن هذه النواحي في المقدمة بقوله: «والترتيب الذي انتهت إليه حيلتي، وصرفت في اختياره مخيلتي، هو أني ذكرت البلدة أحاطها الله، منبهًا منها على قديمها، وطيّب هوائها وأديمها، وإشراق علاها، ومحاسن حلاها، ومن سكنها وتولاها، وأحوال أناسها، ومن دال بها من ضروب القبائل وأجناسها، وأعطيت صورتها، وأزحت في الفخر ضرورتها..»(١١).

وقسّم ابن الخطيب هذا القسم إلى فصول متنوعة نذكرها في النقاط الآتية:

١ – «فصل في اسم هذه المدينة ووضعها على إجمال واختصار»(١٢)، أشار فيه إلى تاريخ مدينة غرناطة، منذ أن عرفت

في التاريخ، منبهًا على عراقتها ومجدها وفضلها، وكيف انتقل العمران إليها عقب انهيار الخلافة الأموية، ابتداءً من سنة ٣٩٩هـ من مدينة إلبيرة، فأصبحت من أعظم المدن الأندلسية، ثم أشار إلى موقعها الجغرافي، فذكر حدودها ومساحتها وتضاريسها ومناخها في وصفٍ جغرافيّ طبيعي، بليغ ودقيق.

٢ - «فصل في فتح هذه المدينة ونزول العرب الشاميين من جند دمشق بها وما كانت عليه أحوالهم، وما تعلّق بذلك من تاريخ»(١٣)، أشار ابن الخطيب من خلال هذا الفصل إلى تاريخ الفتح لهذه المدينة، وكيف استوطنها عرب الشام مشيرًا إلى الملابسات التي أحاطت بذلك.

٣ - ثم يذكر بعد هذا عنوانًا آخر كبيرًا دون الإشارة إلى أنه فصلٌ مستقل؛ لأنه تابعٌ من حيث المضمون للفصل السابق وهو: «ذكر ما آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين على الإيجاز والاختصار»(١٤)، أشار فيه إلى الصراع الذي كان دائرًا بين المسلمين ومن ساكنهم من أهل الذمة، نصارى ويهود، إلى أن استؤصلت شأفتهم على عهد علي(١٥) بن يوسف بن تاشفين المرابطي سنة ٥٢٩هـ.

٤ - ثم ينتقل كذلك إلى عنوان آخر كبير احتوى على عدة فصول وهو: «ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم التي نزلها العرب بخارج غرناطة، وما يتصل بها من العمالة»(١٦)، وهو أقرب إلى الجغرافية منه إلى أي فن آخر، ذكر فيه رسوم القطر ومعاهده، ووصف قراه وجناته، وقصوره ومتنزهاته(١٧).

٥ - ثم ينتقل إلى فصل آخر هو أقرب إلى الوصف الاجتماعي منه إلى أي فنٍ آخر كذلك، فوصف الأحوال الاجتماعية من الناحية الدينية والأخلاقية والمعاشية، كما أشار إلى بعض الأحوال الاقتصادية للمجتمع الغرناطي(١٨).

٦ - ثم يختتم هذا القسم بفصل تاريخي محض وهو: «فيمن تداول هذه المدينة من لدن أصبحت دار إمرة باختصار واقتصار»(١٩)، أشار فيه إلى التاريخ السياسي لهذه المدينة مذ أصبحت قاعدة لبني زيري(٢٠) سنة (٤٠٣هـ = ١٠١٢م) إلى أن اتخذها بنو الأحمر دارًا لملكهم في تركيزٍ شديد.

القسم الثاني : وخصصه للتراجم فقط، وهي تراجم متنوعة، قسَمها تقسيمًا متميزًا، ورتبها ترتيبًا متفردًا، يقول ابن الخطيب مشيرًا إلى هذا: «وذكرت الأسماء على الحروف المبوبة، وفصلت أجناسهم بالتراجم

المرتبة، فذكرت الملوك والأمراء، ثم الأعيان والكبراء، ثم الفضلاء، ثم القضاة، ثم المقرئين والعلماء، ثم المحدثين والفقهاء وسائر الطلبة النجباء، ثم الكتاب والشعراء، ثم العمال الأثراد، ثم الزهاد والصلحاء والصوفية والفقراء»(٢١)، ويعلّل ابن الخطيب هذا الترتيب من حيث التقديم والتأخير بقوله: «ليكون الابتداء بالملك، والاختتام بالمسك»(٢٢). ثم قسّم ابن الخطيب هذه الفئات والطبقات بحسب صورة الاتصال بمدينة غرناطة، فقال: «وكل طبقة تنقسم إلى من سكن المدينة بحكم الأصالة والاستقرار، أو طرأ عليها مما جاورها من الأقطار، أو خاض إليها وهو الغريب أثباج البحار، أو ألمّ بها ولو ساعةً من نهار»(٢٣). ثم يبيّن منهجه في تعامله مع المادة المتاحة، وأثر ذلك في الترتيب السابق، فيقول: «فإن كثرت الأسماء نُوعت وتوسعت، وإن قلّت اختصرت وجمعت»(٢٤).

كما ذكر ابن الخطيب منهجه في كتابة التراجم، فقال: «وآثرت ترتيب الحروف في الأسماء ثم في الأجداد والآباء، لشرود الوفيات والمواليد التي رتبها الزمان عن الاستقصاء، وذهبت إلى أن أذكر الرجل ونسبه وأصالته وحسبه، ومولده وبلده، ومذهبه، وأنحاله، والفن الذي دعا إلى ذكره، وحيلته، ومشيخته إن كان ممن قيد علمًا أو كتبه، ومآثره إن كان ممن وصل الفضل بسببه، وشعره إن كان شاعرًا، وأدبه وتصانيفه إن كان ممن ألف في فن أو هذبه، ومحنته إن كان ممن بزه الدهر شيئا أو سلبه، ثم وفاته ومنقلبه»(٢٥).

أما علاقة القسم الأول، المتعلق بأحوال مدينة غرناطة، بالقسم الثاني المتعلق بتراجم أهلها، فهي علاقة تفصيل وتوضيح، يقول ابن الخطيب في ختام القسم الأول: «وقد أتينا بما أمكن من التعريف بأحوال الحضرة على اختصار، ويأتي في أثناء التعريف برجالها كثير من تفصيل ما أجمل، وتتميم ما بُدىء، وإيضاح ما خفي»(٢٦).

البحث الثاني
منهج كتاب الإحاطة الذي بين أيدينا

مقدمة

بعد أن أوضحنا منهج ابن الخطيب في كتابه الإحاطة كما بينه من خلال المقدمة بصورة مجملة، لا بدَ من تناولها من جديد لاستقراء منهجه كما هو عليه؛ لنتبين مدى التزام ابن الخطيب بشروطه، وكذلك نتبين منهج الكتاب بعد أن أصبح مختلفًا نوعًا ما عن الشكل الذي وضعه عليه ابن الخطيب مقدمًا، لعل في ذلك ما يعين على المزيد من الكشف فيما إذا كان النص الذي وصل إلينا

من الإحاطة غلبت عليه الأصول أم المختصرات.

المطلب الأول : مناقشة ترتيب الطبقات في كتاب الإحاطة

لما كان كتاب الإحاطة الذي بين أيدينا لا يرقى إليه الاعتقاد واليقين بأنه هو عين كتاب الإحاطة كما صنفه ابن الخطيب، ونظم أقسامه، ورتّب فصوله، ونسّق تراجمه، وإنما هو مزيجٌ وخليطٌ من الأسفار، منها ما هو أصلي ومنها ما هو مختصر، دلّ على ذلك الاضطراب والخلل الذي وجدناه في التصنيف والترتيب، فإن محاولة تفسير هذا الترتيب، فضلاً عن اكتشاف منهج ابن الخطيب واختباره كما وضع، ستبدو عسيرة وصعبة، وأن نتائج المحاولة من الناحية الشكلية على الأقل ستكون تقريبية، إلى أن يظهر كتاب الإحاطة على شكله وصورته الأصلية، إن كتب له ذلك.

استطعت بعد طول النظر في موارد ومواضع أسماء الطبقات والفئات في كل كتاب الإحاطة الذي بين أيدينا، أن ألاحظ أن هناك اختلافًا بيّنًا، حصل في ترتيب الطبقات والفئات، وذلك بعد مقابلتها بالإشارة المنهجية التي أوضح ابن الخطيب من خلالها طريقته في ترتيب الطبقات والفئات في المقدمة. ولعل في هذا الاختلاف ما يدل أيضا على حقيقة الإحاطة التي وصلت إلينا.

لقد قام الترتيب - كما يبدو - على أساس الرتبة والمركز القانوني والاجتماعي في شكل هرمي، يبدأ بأعلى وأرقى وظيفة اجتماعية، وهي وظيفة الملك والإمارة وما يتبع ذلك، ثم يتدرج التقسيم من أعلى إلى أدنى.

والتقسيم كما هو ملاحظٌ أيضًا، يخضع للمعيار السياسي والديني أو العلمي، مع تقديم المعيار السياسي، ونقصد بالمعيار السياسي تقديم تراجم أصحاب أعلى الوظائف في الدولة، وهم الملوك والأمراء والأعيان والوزراء والأماثل والكبراء والقضاة. ثم تأتي بعد ذلك الفئات الاجتماعية الأخرى، مع ملاحظة تقديم تراجم المقرئين والعلماء، ثم تراجم المحدثين والفقهاء وسائر الطلبة النجباء، ولعل في هذا سير مع منهج تصنيف العلوم عند أغلب علماء الإسلام، من تقديم العلوم الشرعية وتصنيفها وفق فضلها وقيمتها.

المطلب الثاني : تلازم الفئات الاجتماعية وتراجم الأشخاص

بعد استقراء أسماء جميع الفئات الاجتماعية المذكورة في كتاب الإحاطة لاحظت أنه لم يكن هناك تداخل مخلّ أو مشين

بين الفئات ومصطلحاتها، وإنما كان هناك تنوعٌ داخل وحدات الفئات المتجانسة، كالاختصار فيها أو الجمع بينها.

أما التقسيم المتعلق بالبناء الهيكلي للتراجم الواردة في الإحاطة، أو بتعبيرٍ آخر: التقسيم القائم على العناصر المكونة للتراجم، فإن ابن الخطيب قد اكثر من العناصر ونوّع، حسب وظائف المترجمين بها، مع الحفاظ على بعض العناصر الثابتة التي يشترك فيها معظم المترجمين بهم، ويمكن بعد النظر والمقابلة أن نصنف التراجم بناءً على تجانس العناصر المكونة لها وتماثلها إلى قسمين كبيرين:

١ - تراجم أهل القوة والسلطان: وهم الملوك والأمراء ومن والاهم من الأعيان والوزراء والأماثل والكبراء.

٢ - تراجم أهل العلم والعرفان: وهم المقرئون والعلماء والمحدثون والفقهاء والطلبة والنجباء.

وقبل أن أتطرق إلى الحديث عن البناء الهيكلي النموذجي لتراجم الإحاطة وفق التصنيف الذي ذكر، لا بدَ من أن أشير إلى العناصر الثابتة في بناء التراجم سواءٌ تعلق الأمر بتراجم الفريق الأول، أو بتراجم الفريق الثاني، ثم الإشارة إلى العناصر الثابتة في تراجم كل فريق على حدة من جهةٍ ثانية، وفي النهاية أشير إلى المتغيرات الثانوية بالنسبة لكل فريق على حدة. وبالنسبة للعناصر الثابتة على مستوى جميع التراجم على العموم فهي كالتالي:

١ - ذكر الاسم والنسب والأصل والكنية.

٢ - ذكر الحال.

٣ - ذكر المولد.

٤ - ذكر الوفاة.

أما ثوابت تراجم الملوك والأمراء فهي:

١ - ذكر الاسم والنسب والأصل واللقب والكنية.

٢ - ذكر الحال.

٣ - ذكر وزراء دولته، أو وزرائه، أو وزيره.

٤ - كتابه، أو كاتب سره، أو رئيس كتابه.

٥ - قضاته.

٦ - من كان على عهده من الملوك، وهذا العنصر لا يصدق إلا على ملوك وأمراء الدولة النصرية التي استطاع بفضل اطلاعه العميق أن يحيط بجميع أحوالهم.

٧ - مولده.

٨ - وفاته.

أما باقي الملوك والأمراء، فإنه لا يفصل فيهم كل هذا التفصيل، وقد لا تتعدى العناصر المكونة لتراجمهم: ذكر الاسم، والنسب، والأصل، واللقب، والكنية، والحال، والإشارة إلى دخوله غرناطة، إن لم يكن من أهلها، وأسباب وظروف دخوله، وصورة دخوله،

وأعني بصورة دخوله: هل دخلها طارئًا؟ أم مجاهدًا؟ أم نازحًا؟..إلخ.

وأما المتغيرات التي كانت تطرأ على تراجم ملوك الدولة النصرية وأمرائها فتتعلق غالبًا بمميزات بارزة خصّ بها هذا الأمير على غيره من الأمراء، ويمكن تصنيف هذه المميزات إلى صنفين:

١ - صنف يتعلق بمواهب وصفات ذاتية.

٢ - صنف يتعلق بظروف خارجية.

وهذه الفوارق طبيعية وضرورية، إذ كل امرىء ميسر لما خلق له، فكل إنسان وصفاته الذاتية، وكل إنسان تجري عليه أمورٌ ليس من الضرورة أن تجري على إنسانٍ آخر. فمن المتغيرات المتعلقة بالصنف الأول من المميزات مثلاً: الذكاء، الشجاعة، المناقب، إلى غير ذلك. ومن المتغيرات المتعلقة بالصنف الثاني من المميزات مثلاً: بعض الأحداث في دولته، أو بعض الأحداث في أيامه كالخَلْع والجهاد إلى غير ذلك.

أما ثوابت أهل العلم والعرفان، فهي كالتالي:

١ - ذكر الاسم والنسب والكنية.

٢ - ذكر الحال.

٣ - ذكر المشيخة.

٤ - ذكر المؤلفات والتصانيف.

٥ - ذكر نتف من الشعر والنثر(٢٧).

٦ - ذكر المولد.

٧ - ذكر الوفاة.

أما المتغيرات التي كانت تطرأ على تراجم هذا الفريق، فتتعلق بالظروف والأحوال الخاصة مثل: مناقبه، ومحنته، ومن روى عنه، وصفته، إلى غير ذلك.

خلاصة

من خلال هذه الثوابت الأساسية والمتغيرات الجزئية ندرك إلى أي مدى استطاع ابن الخطيب أن يكون محيطًا ومستوعبًا لأحوال مترجميه، وقد أعانه على ذلك - دون شك - سعة الاطلاع ووجهته غزارة المادة، كما استطعنا أن ندرك أيضًا كم كان منظمًا ودقيقًا في تصنيف تراجم مؤلفه وترتيبها.

المطلب الثالث : طبيعة التراجم ومعيار الاختيار

مقدمة

نقصد بمعيار الاختيار التصور الذي وجه ابن الخطيب إلى اختيار تراجمه، ثم تقدير هذا التصور للخلوص إلى تقرير مدى أهميته وإيجابيته في إعطاء صورة متكاملة عن البيئة التي كانت مناط الترجمة على جميع المستويات من جهة، وكذلك الخلوص إلى عقلية ابن الخطيب ونفسيته وأخلاقه، ونقصد

بهذا معرفة ما إذا كان خاصيّ الرؤية والأخلاق أو عاميها، إن صح هذا التعبير، أو جامعًا بينهما من جهةٍ أخرى، ولكي نستطيع الوصول إلى هذه النتائج لا بدّ من بحث مسألتين اثنتين هامتين ومناقشتهما، والنظر فيما إذا كانتا متوافرتين في كتاب الإحاطة أم لا، وإذا توافرتا، فكيف كانت طبيعتهما؟

هاتان المسألتان هما: العلمية والخصوصية من جهة، والنوعية من جهةٍ ثانية:

أ - العلمية والخصوصية: ونقصد بالعلمية: الشهرة المميزة، والشهرة في غالب الأحيان، تقوم على العلم أو السلطان أو العمل. ولما كانت الشهرة مأخذها عزيز، ومطلبها بعيد، لم تتأت إلا لطائفة قليلة من الناس في المجتمع، تتفاوت نسبها بتفاوت المجتمعات. وإذا كانت العلمية تخص الأشياء فقط، فإن الخصوصية تخصّ الأشخاص والأحداث؛ ومقصدي منها الأحداث فقط.

وتقوم الخصوصية على الغرابة والتميز، ولذلك كان التاريخ في بعض وجوهه عبارة عن مدونة للأحوال والأحداث الغريبة، ووصف الغرابة هذا ناجمٌ عن طبيعة الإنسان في تعامله مع الأحداث الهامة؛ إذ الإنسان يميل بطبعه إلى حكاية الأخبار والأحداث وتسجيلها التي تبدو له غريبة ومهمة، تستحق الذكر والتسجيل، فهي التي تفرض نفسها عليه من منظور الغرابة النسبية، وطبيعة القيم الاجتماعية، والشرائع الدينية، والقواعد السياسية، والتصورات الثقافية. ومن هذا المنطلق ليس غريبًا أن نجد المؤرخين القدامى قد عملوا على تسجيل أعمال النخبة المختارة وتاريخهم، والصفوة الممتازة. وعلى الرغم من ذلك إلا أننا استطعنا أن نجد في ثنايا المادة التاريخية القديمة، إشارات تاريخية كثيرة تكشف عن الجانب المغمور من الحياة الاجتماعية لأية أمة من الأمم.

وبناءً على هذه المقدمة العامة تأتي شرعية السؤال الآتي: إلى أي حدّ استند ابن الخطيب على العلمية في تراجمه؟ أو بصيغة أخرى: هل استند ابن الخطيب في تراجمه على مبدأ العلمية القائمة على الشهرة الواسعة النطاق، دون الاحتفال بتراجم المغمورين، أم زاوج بينها وبين الشهرة الضيقة النطاق؟

لا ريب في أن ابن الخطيب كان يستند في تراجمه بالدرجة الأولى على العلمية، وذلك بيّن من خلال تقسيمات التراجم التي سبق أن عرضناها، إذ ترجم للملوك والأمراء والكتّاب والوزراء والقضاة وغيرهم.

ولكن يمكن - أيضًا - أن نجد، ونحن نتأمل مصطلحات الطبقات والفئات، بعض ما يوحي بأن ابن الخطيب لم يكن «علمي» النزعة فقط، وإنما كان أيضًا «مغموريها» إن صحّ التعبير.

فمثلاً نجده يترجم للطلبة والعمال، وكذلك الفقراء، وهؤلاء حينما نتأمل محتوى تراجمهم لا نجد في كثيرٍ من الأحيان ما يدعو إلى التسجيل سوى أنهم كانت لهم أخلاقٌ حسنة أو نباهة ظاهرة، أو اهتمام ببعض العلوم، أو صلة بابن الخطيب. ولكي أكون أكثر وضوحًا، أذكر أنموذجين استدلالاً على ذلك، تمثيلاً لا حصرًا:

١ - محمد بن الحسن بن زيد بن أيوب ابن حامد الغافقي: قال يصفه: «كان أبو الوليد طالبًا نبيلاً، نبيهًا، سريًا، ذكيًا، ذا خطٍ بارع، ومعرفة بالأدب والحساب، ونزع إلى العمل فكان محمود السيرة، مشكور الفعل، وولي الإشراف في غير ما موضع»(٢٨).

٢ - محمد بن عبدالله بن إبراهيم.. النميري المدعو بالحاج، قال يصف حاله: تولى خطة الإشراف بلوشة وأندرش ومالقة، وولي النظر في مختص ألمرية والأعشار الرومية بغرناطة، وكان له خطٌ حسن، وجودة كاملة، وحسن خلق، ووطأة أكناف يشهد له بجلالة قدره ورفيع خطره»(٢٩).

وأصحاب هذه التراجم لم يكن لهم أي أثرٍ علمي ولا أدبي مذكور، وإنما كانت لهم صفاتٌ مميزة إضافة إلى صلتهم بالسلطان والدولة، فحرص ابن الخطيب على الترجمة لهم إمعانًا في الإكثار من فضلاء بلده ووطنه حتى وإن لم يرقوا إلى المستوى العالي من الشهرة والاصطفاء.

ب - **النوعية** : وهذا العنصر وثيق الصلة بالعنصر الذي تقدمه، ولا يختلف عنه إلا يسيرًا، ونقصد بالنوعية: المترجمين بهم، أي ما مدى التنوع الذي حشره ابن الخطيب في كتابه؟

والغاية من ذلك الوقوف على طبيعة المجتمع، ثم الحكم على هذا المجتمع، هذا من جهة الفائدة الموضوعية التي يقدمها الكتاب.

أما من جهة الكشف عن ذاتية المؤلف، فإنها تعين على فهم الكثير من جوانب شخصية ابن الخطيب، ومنها سعة الاطلاع والاتصال بالفئات الاجتماعية المتنوعة، وبخاصة التنقيب في أحوالهم والبحث عن أخبارهم.

لقد تمكّنا من خلال دراسة الإحاطة أن نلاحظ أن ابن الخطيب استطاع بفضل اتساع دائرة اهتماماته التي خولها له مركزه الاجتماعي والسياسي المرموق، أن يوسع من دائرة مادته وينوّع في تراجمه، فيكتب عن الملوك والأمراء، والوزراء، والكتّاب، والشعراء، والعلماء، والمحدثين، والفقهاء، والزهّاد، والصلحاء، والفقراء، والطلبة، والعمال، ..إلخ.

وإن نظرة في هذه المصطلحات المتنوعة

التي تحمل دلالات متباينة متميزة، لتكشف عن التنوع الحقيقي الذي نتحدث عنه. ولقد كان بإمكان ابن الخطيب أن يقتصر على عددٍ معين من الأنواع والطبقات. ولولا شغفه الكبير، وعزيمته القوية في كتابة مصنف شامل محيط جدير بأن ينطبق عنوانه عليه، لضاعت كثير من الفوائد والحقائق. ولقد ساعدته أيضًا الظروف السياسية والاجتماعية التي آلت إليها الأندلس بعد سقوط الكثير من مدنها وحصونها، وتمركزها في تلك الدويلة الصغيرة المنزوية في غرناطة، ذلك التمركز الذي كان البوتقة التي انصهرت فيها العناصر الاجتماعية المتنوعة، وتفجرت فيها المواهب الذكية، فأفرزت مجتمعًا يعجّ بالحركة، وينبض بالعمل والتفاعل، إضافة إلى الهمة والنشاط، التي كانت تملأ قلب ابن الخطيب، فلم يكل ولم يكسل عن كتابة تغطية شاملة ومفصلة لعناصر المجتمع الغرناطي، مذ أصبحت غرناطة قاعدة حضرية تستوعب الملك والسلطان على عصره.

المطلب الرابع : الإطار المكاني لكتاب الإحاطة

يمكن تصور الإطار المكاني، أو المساحة المكانية التي استوعبها كتاب الإحاطة من خلال البواعث والمسوغات التي دفعت ابن الخطيب إلى كتابة هذا المؤلف. وقد أعرب ابن الخطيب عن غايته في مقدمة الكتاب وتمت الإشارة إليها سابقًا.

يفصح ابن الخطيب عن المساحة المكانية التي سيتولى تسجيلها، فهي مساحة مدينة غرناطة التي كانت عاصمة لمملكة بني الأحمر، والتي أصبحت في القرنين السابع والثامن الهجريين من أعظم المدن الإسلامية في الغرب الإسلامي حضارةً وتمدنًا، وعمرانًا وثقافةً، وقد أشرنا إلى ذلك في بداية حديثنا عن هذا المؤلف.

هذه هي حدود المساحة المكانية لكتاب الإحاطة كما صرّح بذلك ابن الخطيب وهو يعرض منهجه فيه، ولكن الحدود الحقيقية للإطار المكاني كما عرضها الكتاب قد تجاوزت التحديد المعلن عنه، فشملت مساحة أوسع، ونطاقًا أرحب. وهذا التجاوز يفرضه جانبٌ آخر من جوانب منهج ابن الخطيب متعلق بالموضوع والشروط والالتزامات التي شرطها على نفسه، فابن الخطيب كما هو معلوم أراد أن يكتب تاريخًا شاملاً لمدينة غرناطة، ومسألة الشمول تقتضي منه أن يرصد التاريخ رصدًا متقصيًا، يشمل جميع من كانت له صلة بالمدينة كيفما كانت نوعية هذه الصلة.

لقد كان يعي ما يقول ويعنيه حينما ذكر في مقدمة الكتاب، وهو يفصل خطته ومنهجه

في ترتيب التراجم وتصنيفها: «.. وكل طبقة تنقسم إلى من سكن المدينة بحكم الأصالة والاستقرار والطروء عليها مما يجاورها من الأقطار أو خاض إليها، وهو الغريب، أثباج البحار، أو ألمّ بها ولو ساعةً من نهار»(٣٠). لم يرد ابن الخطيب - إذن - كتابة تاريخ محلي يقتصر على أهل البلد بالأصالة والنسبة والانتماء، وإنما أراد أن يثبت فضل هذه المدينة بذكر كل من سكنها أو حلّ بها أو طرأ عليها كما قال، وهذا العمل شبيهٌ بعمل الحافظ ابن عساكر في موسوعته العملاقة «تاريخ دمشق»، وهذا ما يؤكده مرة أخرى طموح ابن الخطيب الكبير من جهة، وحقيقة ما وصل إلينا من مصنف «الإحاطة في أخبار غرناطة» من جهةٍ أخرى. وبناءً على هذا اتسعت دائرة المساحة المكانية؛ لتشمل أولاً الأندلس كلها، ثم بلدان المغرب العربي، بل حتى بعض جهات المشرق، غير أنه نادرٌ جدًا، ويعنيه تاريخ الممالك النصرانية على أرض إسبانيا المسيحية أيضًا.

وتفصيل هذا الكلام؛ أن كتاب الإحاطة كتاب تراجم قبل كل شيء، والترجمة عبارة عن حياة فرد من الأفراد وسيرته، وليس فردًا من الأفراد العاديين، وإنما فرد تميّز نوعًا ما في مجتمعه تميّزًا خاصًا. ومن المعلوم أن هؤلاء الأفراد لم يكونوا خاملين منقطعين أو ثابتين ساكنين، وإنما كانوا يتحركون في مجالات مكانية متعددة وواسعة، وتتبع حركتهم ونشاطهم يقتضي توسعة دائرة النطاق المحدد، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى إن كثيرًا ممن ترجم لهم ابن الخطيب كانت وظائفهم في الحياة تقتضي أن تكون لهم شبكة من الاتصالات والاحتكاكات، فمثلاً بتصور محض لترجمة من تراجم العلماء، يتبادر إلى الذهن سعة الدائرة التي سيتحرك فيها بناءً على التقاليد الإسلامية في طلب العلم الذي يقتضي الرحلة والاتصال الواسع بالمشايخ والعلماء، وبخاصة إذا عرفنا العلاقة التي كانت تربط الأندلس بباقي بلاد المغرب الإسلامي على المستويات السياسية والحضارية والثقافية، وقس ذلك على تراجم الملوك والأمراء، وهؤلاء دائرة اهتمامهم أوسع وأرحب، نظرًا لما تقتضيه السياسة وتدبير الملك على المستوى الداخلي، ونظرًا لما تفرضه التحديات السياسية الخارجية في صيرورة الصراع القائم آنذاك من جهة، ومن جهةٍ أخرى كان منهج ابن الخطيب في كتابة تراجم هؤلاء يؤثر بشكلٍ واسع في الإلمام بأحوالهم السياسية الداخلية والخارجية على السواء، حتى إننا وجدناه في إعداد تراجم ملوك الدولة النصرية وأمرائها، الذين كان شاهدهم، يكرر من جملة ما يكرره من عناصر الترجمة، هذا العنصر: «من كان على عهده من الملوك» وفيه يشير أولاً إلى ملوك المغرب

مبتدئًا بالمغرب الأقصى ثم المغرب الأوسط ثم المغرب الأدنى، ويشير ثانيًا إلى ملوك ممالك إسبانيا على عهده، مبتدئًا بقشتالة ثم أرجون ثم أحيانًا برجلونة.

ولما شرط ابن الخطيب على نفسه الترجمة لمن طرأ على غرناطة أو مرّ بها، فإننا وجدنا كثيرًا من تراجم الملوك والأمراء من مختلف بلاد المغرب الإسلامي الذين دخلوا غرناطة، أو مروا بها لغاية من الغايات، والتي كانت في الغالب، إما لغرض الجهاد أو لضرورة الانتزاح واللجوء. وابن الخطيب لا يكتفي بتسجيل دخولهم أو مرورهم، وإنما يسترسل في ذكر سيرهم ومآثرهم مما كان فرصة لتوسيع المساحة المكانية.

خلاصة

إن النتيجة المفيدة التي ألجأ إليها المنهج لتساعد على كشف كثيرٍ من الحقائق التاريخية والاجتماعية، ويمكن تقرير بعض الفوائد على سبيل المثال في النقاط التالية:

١ – الكشف عن الأنشطة الإنسانية العامة في إطار المساحة المكانية المذكورة، بحيث يعين ذلك الباحث على إنشاء تصوّر عام ومعين عن زمان المساحة المحددة.

٢ – إعطاء تصوّر معيّن عن الحركة الثقافية التي كانت سائدة في الغرب الإسلامي آنذاك.

٣ – إعطاء تصور معين عن العلاقات السياسية بين دول بلاد المغرب والأندلس على مرّ العصور.

٤ – إعطاء تصوّر معين أيضًا عن الحياة السياسية في المغرب وخاصة في القرنين السابع والثامن الهجريين.

٥ – إعطاء تصور معين عن العلاقات السياسية بين مملكة غرناطة والممالك النصرانية.

المطلب الخامس : التراجم بين الطول والقصر

من الملاحظات التي أشرنا إليها سابقًا أن كتاب الإحاطة لم يصل إلينا بالصورة التي أخرجها عليه ابن الخطيب، وإنما امتدت إليه يد الحدثان، ولهذا كان من الصعب الحسم في مسألة الطول والقصر في التراجم، وعلى الرغم من ذلك استطعنا أن نلاحظ أن التراجم التي حظيت بقسطٍ أوفر من الاهتمام، فجاءت طويلة نوعًا ما، هي تراجم الملوك والأمراء، وبخاصة معاصروه من الدولة النصرية، التي كان كاتبها ووزيرها في الطراز الأول، إضافة إلى تراجم بعض العلماء والأدباء الذين ميزتهم الشهرة، سواء عاصرهم أم لم يعاصرهم. ولهذا كان أول أمير نصري استأثر بأطول ترجمة في الإحاطة هو الأمير محمد بن

يوسف ابن إسماعيل الغني بالله، وقد سامح ابن الخطيب فيه قلمه، فجاءت ترجمة رائعة، وأنموذجًا فريدًا، احتوت على حوالي سبع وسبعين صحيفة، وهذا قدر كاف وزيادة لإعطاء صورة كاملة عن أحوال ملك من الملوك ونشاطاته سواء من الناحية الداخلية أو الخارجية.

أما الذين استأثروا بنصيبٍ أوفر من الصفحات، حيث تراوحت صفحات تراجمهم ما بين ثلاثين وخمس وثلاثين صحيفة، فهم من العلماء والأدباء المرموقين، الذين كانت لهم شهرة واسعة النطاق، وأغلبهم من الذين جمع بينهم وبين ابن الخطيب قرنٌ واحد، وإن كان ممن توفي قبل ميلاد ابن الخطيب مثل: محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن يحيى بن محمد بن فتوح بن محمد ابن أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي (ذو الوزارتين) الذي توفي في سنة ٧٠٨هـ، احتوت ترجمتَه اثنتان وثلاثون صحيفة. وكذلك محمد بن خميس بن عمر بن محمد بن خميس الحجري الذي توفي أيضًا سنة ٧٠٨هـ، احتوت ترجمتَه خمس وثلاثون صحيفة.

أما المعاصرون من الذين أفاض ابن الخطيب في الترجمة لهم حتى بلغت أيضًا حوالي خمس وثلاثين صفحة، ولم يكونوا من الغرناطيين، فهو قاضي الجماعة بفاس وتلمسان، يدعى أبا عبدالله محمد بن محمد بن أحمد القرشي المقري(٣١)، وكانت وفاته سنة ٧٥٩هـ، وكانت بينه وبين ابن الخطيب مخاطبات ومراجعات كثيرة.

وليس شرطًا أن يكون التطويل في الترجمة قائمًا على المعاصرة، وإنما قد يقوم على أساس الشهرة الواسعة، والمادة المتوافرة، فقد وجدنا ترجمة استطرد فيها قلم ابن الخطيب، ولم يكن صاحبها من معاصريه، بل لم يكن حتى من الذين نظمهم وإياه قرنٌ واحد، هذا الشخص هو: محمد بن مسعود بن خالصة بن فرح بن مجاهد بن أبي الخصال الغافقي الذي توفي سنة ٤٦٥هـ، احتوت ترجمتَه ثلاثون صحيفة، واعتمد ابن الخطيب في ترجمته على مصادر سابقة.

أما المادة التي طالت بموجبها التراجم فهي السرد الكثير لنصوص إنشاءات المترجم به سواء كانت شعرًا أو نثرًا، وبخاصة الشعر الذي احتفل به ابن الخطيب كثيرًا، وحرص على جلبه وإن في التراجم القصيرة جدًا، حتى ليذكر البيتين والثلاثة.

من الملاحظات العامة التي تتعلق أيضًا بمسألة طول التراجم أو قصرها، أن معظم تراجم الذين عاصروا ابن الخطيب أو نظمهم قرنٌ واحد، بما فيهم من ضمهم القرن السابع الهجري، هم الذين نالوا حظًا لا بأس به من اهتمام ابن الخطيب، فجاءت تراجمهم طويلة نسبيًا، والسبب في ذلك واضحٌ ومعروف، وهو

وفرة المادة لتقارب الزمن وكثرة المراجع.

المطلب السادس : حقيقة الإحاطة التي بين أيدينا

من المعلوم أن معظم مصنفات ابن الخطيب تعرضت للضياع والإتلاف أكثر من مرة، ومن المعلوم أيضًا أن كتاب الإحاطة يعد من أهم كتب ابن الخطيب على الإطلاق، لذلك اعتنى به العلماء والأدباء فامتدت إليه أيدي المختصرين، بل إن ابن الخطيب نفسه لم يكتب نسخة واحدة فقط، وإنما كان دائم الإضافة والتنقيح شأنه شأن العديد من المصنفين والمؤلفين، ومع مرور الزمن اختلطت الأصول بالمختصرات، بسبب النهاية المأساوية لهذه المملكة، إلى درجة صعب معها التمييز بين ما هو أصلي وما هو مختصر، وإن كنا نميل إلى الاعتقاد بأن كتاب الإحاطة الذي بين أيدينا، وهو الذي حققه الأستاذ محمد عبدالله عنان رحمه الله، مزيج من المختصرات والأصول، وأن المختصرات أكثر من الأصول، وأن الحجم الذي وصل إلينا أصغر بكثير من الحجم الأصلي الذي أنشأه عليه ابن الخطيب. ومن الإشارات التي تدل على أن كتاب الإحاطة الذي بين أيدينا ليس هو الأصل، ما أذكره في الفقرات الآتية:

١ - ما جاء في آخر ترجمة: سهل بن محمد بن سهل بن مالك الأزدي (٥٥٩هـ - ٦٣٩هـ)، قول المختصر: «قلت ذكر الشيخ ابن الخطيب في هذه الترجمة» الأعيان والوزراء «ستة من أهل هذا البيت، كلهم يسمون بهذا الاسم، عدا واحد منهم فإنه سمي بسعيد، وذلك مما يدل على كثرة النباهة والأصالة والوجاهة، رحمهم الله»(٣٢).

٢ - ما جاء من تعليق على ترجمة محمد بن عبدالله بن أبي زمنين (ت: في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة)، وهي ترجمة لم تتعدَ بضعة أسطر، يقول المختصر: «قد تقدم اعتذاري عن إثبات مثله في هذا المختصر فلينظر هناك إن شاء الله»(٣٣).

٣ - من الإشارات أيضًا قول المختصر معلقًا على مشيخة علي بن محمد بن علي هيضم الرعيني (ت: سنة ٦٦٦هـ): «قلت هذا الرجل له مشيخة في أصل ابن الخطيب طويلة اختصرتها»(٣٤)، إلى غير ذلك من الإشارات المختلفة في مواضعَ كثيرة من الإحاطة التي بين أيدينا(٣٥). هذا إضافة إلى ما لاحظناه من اختلال واضطراب في أسماء الفئات والطبقات من حيث التقديم والتأخير والتنويع، وقد أشرت إلى ذلك سابقًا.

على الرغم من كل هذه الإشارات إلا أن

الأستاذ محمد عبدالله عنان رحمه الله لم يجرؤ على الجزم بأن معظم الإحاطة مختصر، ولقد وجدناه يخلط بين مصطلحي «ناسخ» و«مختصر» على الرغم من التباين الحاصل بينهما، فكان كثيرًا ما ينبه على عمل المختصر بأنه من عمل الناسخ، يقول الأستاذ محمد عبدالله عنان: «وقد أوضح لنا الناسخ نفسه في غير موطن من مخطوط الاسكوريال صنوف اختصاراته، في إغفال بعض القصائد أو إغفال بعض أجزائها، وحذف المشيخة؛ أي أسماء العلماء الذين أخذ عنهم المترجم له، أو حذف بعضها»(٣٦)، ومعلومٌ أن الناسخ لا يتصرف في النص بهذا الشكل إلا أن يكون مختصرًا، والاختصار كان فنًا قائمًا بذاته له مناهجه وقواعده، ومقاصده وغاياته.

ولقد حاول الأستاذ محمد عبدالله عنان أن يبعث في نفوسنا الثقة مؤكدًا أنه على الرغم مما عرض للإحاطة من تبديلٍ وتشويه من قبل المختصر، «الناسخ» على حدّ تعبيره، إلا أنها ظلت محتفظة بجوهرها وبخاصة القسم التاريخي من الكتاب، مستدلاً ببعض الأدلة(٣٧).

ولعل أبلغ ما يؤكد ما ذهبنا إليه من أمر وصول الإحاطة ناقصة، وأن أشياء أخرى مهمة لم تصل إلينا، ما عثر عليه الأستاذ عبد السلام شقور من الإحاطة، حيث قام بتحقيقه سنة ١٩٨٧م ونشره تحت عنوان «ما لم ينشر من كتاب الإحاطة لابن الخطيب»، فقد عثر على قطعة تتألف من حوالي مائة وخمسين صفحة احتوت على ما يزيد عن ثلاثمائة ترجمة، وهو عددٌ كبير إذا ما قورن بعدد الصفحات فجاءت تراجمه قصيرةً جدا. وعلى الرغم من ذلك توافرت على مقتطفات شعرية كثيرة كما توافرت أيضًا على بقية ترجمة ابن الخطيب لابن خلدون تضمنت رسالة نثرية بعثها ابن الخطيب إلى ابن خلدون أيام مقامه بالأندلس، والرسالة لم يذكرها ابن خلدون في تعريفه، ولم ترد أيضًا في الإحاطة المطبوعة كذلك. يقول الأستاذ شقور منوهًا بالقيمة العلمية لهذه القطعة: «ولست في حاجة إلى بيان أهمية هذا المجموع الذي نقدمه اليوم، وتكفي الإشارة إلى كونه يتضمن قريبًا من ثلاثمائة ترجمة لم ترد في الإحاطة المطبوعة، هذا عدا نصوص نثرية وشعرية نادرة.. ثم إن هذا المجموع يقدم لنا قراءة مغايرة لبعض ما ورد في «النفح» و«الكتيبة الكامنة»، وهي قراءة أرى أنها أكثر صحة من غيرها، وهو بذلك يفيدنا لا في ترميم كتاب الإحاطة فحسب، بل في توثيق وتصحيح نصوص واردة في غير ما مصدر ومرجع»(٣٨). ولعل فيما عرضناه من الأدلة كافٍ في تأكيد زعمنا، وإلى أن تظهر نصوصٌ أخرى من الإحاطة، وما يدريك لعل الزمان يجود بنسخة كاملة منها في يومٍ من الأيام.

الحواشي

١ – انظر مقدمة عبد الله عنان التي قدم بها لتحقيق كتاب الإحاطة: ١/٦.

٢ – الإحاطة : ١/٨١.

٣ – الإحاطة : ١/٨١.

٤ – الإحاطة : ١/ ٨١ – ٨٣.

٥ – الإحاطة : ١/ ٨٣ – ٨٥.

٦ – هو أبو محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقي الملاّحي، كان محدثًا، أديبًا، مؤرخا، من مؤلفاته التاريخية «تاريخ علماء إلبيرة»، ولد سنة ٥٤٩هـ وتوفي سنة ٦١٩. انظر ترجمته في الإحاطة: ٣/ ١٧٦ – ١٧٧.

٧ – الإحاطة : ١/٨٥.

٨ – الإحاطة :١/٨٦.

٩ – الإحاطة :١/٨٧.

١٠ – الإحاطة : ١/٨٨.

١١ – الإحاطة : ١/٨٧.

١٢ – الإحاطة : ١/٩٩.

١٣ – الإحاطة : ١/١٠٠.

١٤ – الإحاطة : ١/١٠٦.

١٥ – هو علي بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت الصنهاجي اللمتوني، ولد سنة ٤٧٦هـ، وتصير إليه الملك بالعهد من أبيه سنة ٤٩٧هـ، وتولى قيادة الأمور بعد وفاة والده مستهل سنة ٥٠٠هـ، كان من أعاظم ملوك الدولة المرابطية، لولا فتنة الموحدين التي كانت شوكة في حلقه، إلى أن محت رسومها، وقطعت دابرها، أجاز إلى الأندلس برسم الجهاد مرات عدة، توفي سنة ٥٣٧هـ. انظر ترجمته في الإحاطة: ٤/ ٥٨ – ٥٩، وابن عذاري، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ٤/٤٨ وما بعدها.

١٦ – الإحاطة : ١/١١٥.

١٧ – الإحاطة : ١/ ١١٥ – ١٣٣.

١٨ – الإحاطة : ١/ ١٣٤ – ١٣٩.

١٩ – الإحاطة : ١/ ١٤٠ – ١٤٣.

٢٠ – انظر أخبار بني زيري في الأندلس مختصرة في كتاب أعمال الأعلام، لابن الخطيب: ٢٢/٢٢٧ وما بعدها.

٢١ – الإحاطة : ١/٨٧.

٢٢ – الإحاطة : ١/٨٧.

٢٣ – الإحاطة : ١/٨٧.

٢٤ – الإحاطة : ١/٨٧.

٢٥ – الإحاطة : ١/٨٨.

٢٦ – الإحاطة : ١/١٤٣.

٢٧ – يجلب ابن الخطيب الكثير من القصائد والمقطوعات الشعرية، وكذلك النصوص النثرية، التي تدل على براعة المترجم به في ذلك الميدان، وبخاصة حينما يكون الشخص كاتبًا، أو شاعرًا، أو

كانت تجمع بين ابن الخطيب وأحد منهم المعاصرة والاتصال، فإنه يغتنمها فرصة ليذكر ما كان بينه وبينهم من المخاطبات والمراجعات التي تكشف عن كثير من الحقائق التاريخية، التي ترقى في أحيانٍ كثيرة إلى مستوى الوثائق المهمة.

٢٨ - الإحاطة : ٢٠٧/٣.

٢٩ - الإحاطة : ٢٠٩/٣.

٣٠ - الإحاطة : ٨٧/١.

٣١ - راجع ترجمته في: الإحاطة: ١٩١/٢.

٣٢ - الإحاطة : ٢٩٥/٤.

٣٣ - الإحاطة : ١٧٢/٣.

٣٤ - الإحاطة : ٣٤٢/٤.

٣٥ - راجع على سبيل المثال الإشارات الواردة في المواضع الآتية من الإحاطة: ٦٣/٣، ٢٠١، ٣٠١.

٣٦ - الإحاطة : ١٧٢/٣.

٣٧ - مقدمة تحقيق كتاب الإحاطة: ٩٠٨/١.

٣٨ - ما لم ينشر من الإحاطة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن عبدالله، تطوان، المغرب، العدد٢، ص ٤٠٤ - ٤٠٥.